



شعر:
إلياس قنصل

رباعيات مختارة



منشورات

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

السلسلة الشعرية " ٥ "

رباعيات مختارة

شعر :
إلياس قنصل

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

شعبان ١٤٠٢ هـ

مايو ١٩٨٢ م

منشورات

دار الرفاعي

للنشر والطباعة والتوزيع

الرياض ص.ب. : ١٥٩٠

ت : ٤٧٧٧٢٦٩

الغلاف من اعداد الفنان المرحوم : عصمت البلك
اللوحات الداخلية : من اعداده بالاشتراك مع الفنان
محسن منصور

أخطوط بقلم محمود حسن الخطاط

رباعيات مختارة

كلمة الناشر

لنشر هذه الرباعيات المختارة ، قصة ، لابد ان تقص من بدايتها ،
ليعلم ابناء العربية ، انه ليس بين أبنائها حدود ولا قيود ، وانه لا يبعد
العربي عن العربي شرق ولا غرب ، وان اللغة العربية هي الجسر الذي
يمتد بينهم ، ليصل بعضهم بالبعض الآخر ، وان هذا اللسان ينبغي ان
يظل حيا ، وان يحرسوا عليه بقدر حرصهم على الحياة ذاتها ، لأنه هو
حياتهم .. وان هذه الكلمة لتكون أكد ما تكون لأبناء المهاجر العربية ،
حيث يخشى على هذا اللسان ان ينقرض هناك .. وحينئذ يتحطم الجسر ..
وتفكك العرى ، وتنقسم الأصرة ..

وما لي حاجة الى مثل هذا الاستطراد ، لولا ان في الصدر نفثة مصدور
كان من حقه ان ينفثها لأقل بادرة .. والا فلمثل هذا القول مجال من حقه ان
يطول ، وفي غير هذه الكلمة المحدودة ..

كانت البداية بيني وبين الشاعر الكبير (إلياس قنصل) ، رسائل
متبادلة . جاءت في أخريات سنيه .. وكان من نتيجتها ان أرسلت اليه
بعض ما نشرت من مطبوعات صدرت في سلسلة (المكتبة الصغيرة) أو
شقيقتها الصغرى (السلسلة الشعرية) ، فكان ان تلقيت منه في رسالته
المؤرخة ١٧ نيسان ١٩٨٠ ، عبارة شكر رقيق ، جاء بعدها ما نصه :
« لدى مخطوطة شعرية عنوانها رباعيات جديدة » وهي تضم حوالى
(٢٠٠) رباعية نظمها في أوقات مختلفة ، وقد نشرت قسما صغيرا منها
في طبعة نفدت نسخها منذ ٢٤ سنة فهل في وسع (المكتبة الصغيرة) ان
تتولى طبعتها ونشرها ؟ »

وكان ان كتبت اليه مرحبا كل الترحيب برباعياته ، فهو شاعر شهير من شعراء المهجر ، له مكانته ، الى جانب انه يحمل مشاعر نبيلة تجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانه طالما أعرب عن تلك المشاعر كلما واثته مناسبة ..

وتلقيت الرد في رسالة أخرى من بوينس آيرس في ١٩٨٠/٩/٨ م يقول في مستهلها :

« رجعت البارح من سفرة الى داخل البلاد ، القيت اثناءها عدة محاضرات باللغة الاسبانية عن حضارة العرب قديما وحديثا ، كان لها الوقع الحسن في الأوساط المحلية الراقية » .
ثم يردف :

« وها أنا أعود الى تناول موضوع الرباعيات ؛ اضم الى رسالتي هذه مائة منها لتتولى طبعها بعنوان « رباعيات مختارة » .
وهكذا استقرت الرباعيات على مائة بدلا من مائتين .. واستقر اسمها (رباعيات مختارة) ، عوضا عن (رباعيات جديدة) .
وقد لبيت طلب الأديب المهجري الكبير ، فاخذت في اعداد رباعياته للنشر ، وهيأتها لتأخذ دورها ضمن (السلسلة الشعرية) ، وجهدت في اخراجها ، على أجمل ما استطيع من اخراج ..

ولم يك بيننا عقد مكتوب .. فانما هو الحب يحكم طرفين ، أولهما أديب شاعر ، والآخر من هواة النشر ..

ومرت أيام .. كنت احتشد فيها لاجراج الرباعيات على ما يبهج خاطر الأستاذ إلياس ، ويعمل فيها أكثر من فنان بين خطاط ورسام .. وكان لابد ان اتذرع بالصبر ..

وكان ان ابطأت على رسائل الأستاذ الشاعر .. وخشيت ان يستبطنى الأمر ، فكتبت اليه سائلا عن أحواله وأخباره .. شارحا الخطوات التي تمت حيال رباعياته ..

فعلت ذلك في أواخر مايو ١٩٨١ م

وانتظرت الجواب ..

ولكن الصمت ساد ..

وبينما كنت اقضى اجازة قصيرة مع أسرتي في مدينة هيستنجس البريطانية ، على ساحل المانش ، وأزجى فراغى بقراءة مجموعة من المجلات العربية ، بينها مجلة (الثقافة) التي تصدر في مصر ، وهي مجلة أجد فيها نسيمات بليلة من (الرسالة) الألفة ، رعي الله عهدا المغدق ، وأجد بين كتاب هذه بقية من كتاب تلك ..

بينما كنت اقرأ عدد مايو منها .. وكنت آنذاك في يونيه ، وجدت فيه نعي الشاعر المهجرى الكبير (إلياس فنصل) نزيل بوينس ايرس في الأرجنتين .. وليس في الخبر شيء عن تاريخ وفاته ، وان اشتمل على تعريجة عاجلة على أهم إصداراته في الشعر والكتابة .

ولكن العدد ذاته ، حمل كلمة رثاء ، من قلم الأستاذ الكبير (محمد عبدالغنى حسن) ، وهو بعض تلك البقية الصالحة التي أعنى من كتاب (الرسالة) ، كما هو دليل حي على ان الوفاء بين الناس لايزال حيا .. وكما هو معروف ، فان للأستاذ محمد عبدالغنى حسن عناية واهتماما كبيرين بالأدب المهجرى ، وله بأصحابه روابط وصداقات ووشائج وفاء .. وعلمت من كلمة الرثاء هذه ان الشاعر الكبير قضى نحبه في ٢٠ مارس ١٩٨١ م

منذ ٢٠ مارس ، وأنا لم اعلم عن وفاته .. ؟!

يا ضيعة الأدب بين قومه !

لاشك ان الأدب العربي فقد بفقدته أدبيا كبيرا ، وشاعرا جديرا .. كما هو بوفاته نجم لامع من نجوم الأدب المهجرى .. وقد حدثنا الأستاذ (محمد عبدالغنى حسن) في مقاله ذلك ، ان

دواوين الشاعر المطبوعة ثمانية منها (رباعيات فنصل) ، و (النبي العربي الكريم) و (الحان الغروب)

وحدثنا ، فيما حدث ، أن ديوانه (النبي العربي الكريم) يمثل أجمل شعر قاله مسيحي في نبينا محمد بن عبدالله عليه صلوات الله وسلامه ، وأنه صدر في الأرجنتين بدون تاريخ ، ولكن تاريخه الحقيقي هو سنة ١٩٦٧ م .

لقد أسيت لفقد هذا الشاعر العربي الكبير ، وازددت أسى لأنه لم يشهد إخراج ديوانه هذا ، على يدى ..

لقد رأيت ، في اخراج هذا الديوان ، وفيما بذلته فيه من جهد - على قلته في حقه - وجهها من وجوه تكريم شاعر عربي فحل ، وشاعر مهجرى ، حفظ اللغة العربية وشعرها ، رونقها في مهجره البعيد ، بعد أن انحسر عنها ذلك المد الدافق الذى استقبله المهاجرون الأوائل ، كما انه تكريم لشاعر أحب محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتدحه ، باطيب ما يكون المديح ، يأتي من غير اتباعه ، وان من واجبنا - معشر المسلمين - أن نرد له بعض تحيته ..

اننى لسعيد - حقا - حينما أضع بين يدى القراء ، هذه (الرباعيات المختارة) ، وبينها الكثير من الرباعيات التى لم تنشر من قبل ..

ولا أود أن يسبق لظن قارئى ما . اننى أنشر هذه الرباعيات . لمجرد انها لشاعر كبير .. ولكننى أفعل ذلك مقتنعا بجودتها . بل بروعتها .. وفلقد خلق في بعضها تحليقا ساميا .. وخرج بها من همومه ، أو هموم غربته الى هموم العرب جميعا . فعاش وطنه في قلبه .. ووطنه هو الأمة العربية جمعاء .. ولو طلب الي أن أختار نماذج ممتازة من هذه الرباعيات لأوردها شواهد على ما أقول . لما وسعنى أن أختار ، ولأوردتها جميعا .. اما اننى لن أفعل ذلك مرتين . فساكتفى بأن أقدمها جميعها للقارئ العربي . بعد هذه الكلمة ..

هأنذا أقدم لك - أيها القارئ الكريم - بطريقة عفوية هذه الرباعيات لكي تتأملها بإمعان . وتذهب مع الشاعر الى الأفاق التي طاف بها خياله . عما يولده الفقر والحاجة من مأسى اجتماعية او مذهبية :

خف دموع الفقير يا كائز
الأموال ، يا من يخيفه الإحسان
قد يحول الشقاء بأساً أثيماً
فيموت الضمير والوجدان
كل فوضى تحمل الناس منها
باهظ الشر أصلها جوعان
ليس بين الفقير والسجن الا
خطوة أمر بها الشيطان

وبعد ..

فقد قرأت في إحدى الصحف ان هناك من يفكر في إصدار (الديوان الكامل) لهذا الشاعر الكبير ، وان ذلك لما يسعدني حقاً ، بل إن ذلك بعض حق الشاعر الكبير على محبيه ..

وللتاريخ اذكر ان من أجود ما قرأت في المراثي العصرية ، تلك المراثية الباكية المؤثرة المحلقة ، التي قالها الأستاذ الشاعر المهجري أيضاً (زكي قنصل) وهو أخو شاعرنا الياس ، وقد نشرتها مجلة (الأديب) في عدد يونيو ١٩٨١ ، ومطلعها :

لم يغب - رغم بعده - عن عياني
إنه بين مقلتي وجناني !

ومن خير ما قرأت عنه ، مقالة ضافية نشرتها مجلة (شئون عربية) للأستاذ (فريد جا) .

وقبل أن اختتم هذه الكلمة .. أود أن أتوجه بالشكر لأخوة الشاعر
اليس ، الذين أجازوا لي المضي في نشر هذه الرباعيات ، بعد رحيله ، فلهم
على ذلك أطيب الثناء .

عبدالعزیز الرفاعی

صاحب دار الرفاعی للنشر والطباعة والتوزيع
الرياض في ١٤٠٢/٣/١ هـ

إن لم تجد من صرف الدهر مدرسةً

ظلت علومك بين الهذر واللعب

وما يفيدك نصيح أنت سامعها

كما يفيدك ما تلقى من النوب

فاجمع نبالك، فالدنيا مكافحة

والزهد يحمل ذلَّ الخوف والهرب

في كل شيء، إذا أمعنت، فلسفت

هيهات نقرأها في أعظم الكتب

نحزن شئنا من الحياة سبيلاً
مطمئناً يرضى به الأغبياء
وأتكلنا على الخيال فما أجدى
خيال ، ولا أفناد رجاء
وحملنا على العدى شعراء
فسرى في صفوفنا الإعياء
نكبة القدس - نحزننا الضحايا
أفيجفى دروسك الأبناء؟

جَرَّدَ طَرِيقَ النَّاسِ مِنْ نَكَبَاتِهَا

نَغْدَ الْحَيَاةِ مِنَ الْفِتَوْرِجِهَمَا

وَلَرَبَّمَا رَامَ الزَّمَانَ لَكَ الْأَذَى

فَقَضَى عَلَيْكَ بِأَنْ تَعِيشَ مُنْعَمًا

وَمَتَى رَمْتُكَ الْحَادِثَاتُ عِبُوسَةً

بِنِبَالِهَا، فَاضْحَكْ لَهَا مَتَبَسِّمًا

مَا فِي بَكَائِكَ إِنْ فَرَحْتَ، بِطَوْلَةٍ

إِنَّ الْبَطُولَةَ أَنْ تُضَامَ وَتَبْسِمَا



نُفُونُكَ إِذْ تَشْكُو الزَّمَانَ حَفَائِقُ

نُبَيِّنُ مِنْهَا شَحْمًا وَسَخَاوَةً

فَلَدَّهَرًا نِصَافُ نَرَاهُ لَجَهْلُنَا

وَأَهْوَيْنَا، ظُلْمًا يَمُرُّ بِلَاؤُهُ

وَرُبَّ غَنِيٍّ نَفْسُهُ نَفْسُ مَجْرِمٍ

يَكْفُ الْأَذَى عَنِّي وَعَنْكَ ثَرَاؤُهُ

وَرُبَّ فَقِيرٍ هَانِي رَغْمَ فَتْرِهِ

إِذَا بَاتَ ذَا مَالٍ نَلَّاشِي هَنَاؤُهُ

لَمَّا رَأَيْتُ فِعَالِ النَّاسِ مَثْفَلَةً

بِالْمِينِ حَوْلِي، وَدَاءِ الْكَذِبِ مَنْتَشِرًا

وَقَيْتُ نَفْسِي مِنْ عَدَوِي نِعَافِلَهَا

بِالْبَعْدِ عَنْ كُلِّ نَفْسٍ عَزَّهَا أَنْدَثَرًا

قَدْ نَفَسَدَ الْبَيْئَةُ الرِّغْنَاءُ أَدْمَغَةً

بِهَانِغَتِ لِسَانُ الدَّهْرِ مَفْنُخَرًا

إِذَا حَكَمْتَ عَلَى الْحَرِّ الْكَبِيرِ بِأَنْ

يَعِيشَ بَيْنَ لُئَامٍ، عَاشَ مِنْ حَرِّ

لَا تَلْمُ إِذَا أَضَاعَ مَسَاعِيكَ

لَدَيْهِ، وَكُنْتَ تَرْجُو جَزَاهَا

رَمَتْ إِصْلَاحَهُ وَعَيْنُكَ لَا تُلَاحِظُ

نِيَّارَ نَفْسِهِ وَهَوَاهَا

كُلُّ دَاءٍ لَهُ عِلَاجٌ وَمَا يَنْفَعُ

فِي عِلَّتِهِ يَضُرُّ سِوَاهَا

كَمْ نَفُوسٌ إِذَا انْخَلَتْ عَلَيْهَا

بِالْإِهَانَاتِ، لَا تُنَالُ رِضَاهَا

خلّوا النحس والبكاء وعالجوا
أمراض أنفسكم بلا إشفاء
فشل المفصّر أن عزاه لغيره
فشل يضاعف طلاء نفاق
إنّا نحسنا القدس، وهي ودیعة
فی عهدنا من سوءد الخلاق
ما كان من وهن السلاح ضياعها
بل من شيوع الذلّ في الأخلاق

عبثًا تحاولُ أن تطهرَ أنفَسًا

من طبعها، فالنفس لا تتغيرُ

والصقل يحدثُ في الفُشورِ مرونَةً

لكنه في اللبِّ ليس يؤثُرُ

ما أسهل التمييز بين شَهامة

هي فطرة، وشَهامة هي مظهرُ

يخفى الكريمُ عن النواظر فضلَه

أما اللئيمُ فبالرذائل يفخرُ

حتام نسنعطى الغريب دروسه

وتراثنا أسمى الذى فى درسه؟

نخشى مناهلنا ونرفض رندها

منها فنين على ثبالة كأسه

إنا طردنا الأجنبى ولم نزل

بعقولنا وقلوبنا فى حبسه

والشعب لا يتركز اسنقلاله

حتى يحرر نفسه من نفسه

أنا لا أجور على البخيل معنفاً

لكننى أرثى له خذلانا

يقضى الحياة على بساطٍ شائك

من خوفه، ويكابد الحرمان

أما الكريم فواجد من نفسه

ثفتة نعلم كفته الإحسانا

والبخل ذل فى النفوس فحيثما

نلتقى البخيل وجدت فيرجبانا

لا ترم شعبك بالخمول فإنها

عهدتراه عن وئريب زائلا

أقلامُ قادن، رمث، بدائها

فغدا، كما شأؤوا، مريضنا حلا

كم موقف في الصراحة واجب

جعلوه أشراكا لـ، وحبائلا

شر من السم الزعاف يراعت

ترث القنيل كما تحيى القاتلا

ماذا ترى في الرقص؟ قلتُ خلاعة

تخفى لأخلاق الشباب مزالفنا

إن كان فيه من الكياسة مظهر

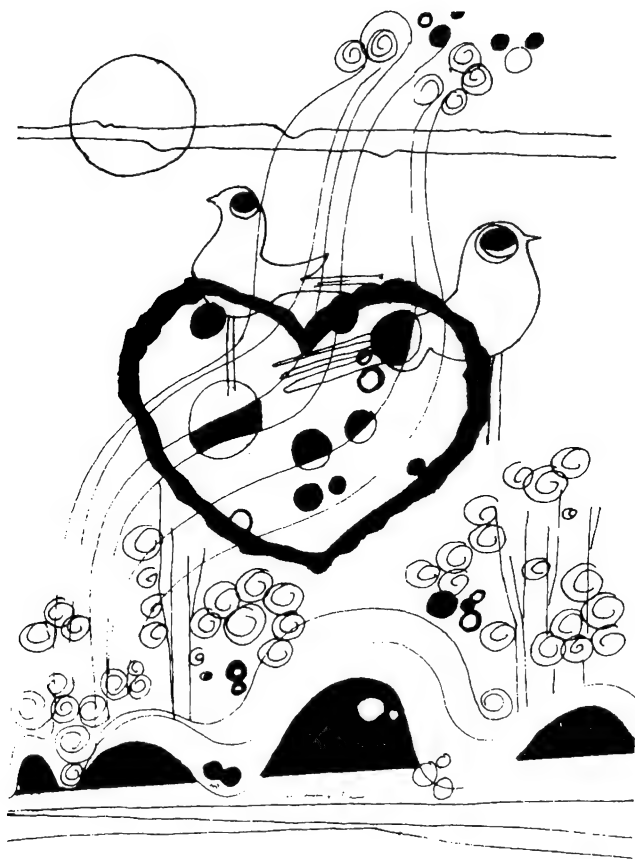
بات الحياء من الكياسة طالفنا

لن يمنع التهذيب نزوة مهجرت

فندهبجت باللمس قلباً خافنا

ما في اختلاجات الرقصين رياضة

إن الرياضة لا تكون نفعاً لنا



أسفتَ لصمتهم ولم يرَاعَ

جميل بيانهم سحر الجموعَا

ولو أبصرتَ شدة ما يعانى

من الأيام، أرخصتَ الدموعَا

إذا سلم النبوغ من الرزايا

فكيف يطبّب الفقر الوجيعَا؟

وأغربُ مشهد نصب ثمين

أفئيم لعبثريِّ ميات جوعَا

أرسلناها شعواء لم أعثر على

سبب يبرر أن تؤجج نارها

فسهوت حيناً عن جهادى بإذلاً

أقصى الجهد لأنقى أضرارها

هذا النخصام جنائية، وحقوقنا

للمجد واثبة نفلك إيسارها

سيان في عرف البلاد مناصر

أعداءها ومحارب أحرارها

رأيت الأمانى كلها فى شهادة

مديد الغنى وإجاء بعض ثمارها

فلم تسع للعرفان جهدك، إنما

بذلت المساعى ضارعا لادّخارها

فلا يرفعُ بالزّهور رأسك، فهى لا

تشارك إلاّ عالمًا بفخارها

وكم من شهادات يغرُّ جلالها

وفينها - النفسُ الذى فى إطارها

شغلتم عن قصائد بهزلك

فما هنالك لجهلكم تروون

فلا تفعبوا مني إذا ما

طواه عنكم بعد سحيون

بضيع الحسن حين يموت ذوون

وإن فسد الحجب ديس حقوون

وكيف يطيب للشحرور شدوون

وسامعنا يلذلنا النهيوون ؟

ثُلُومِ الْأَغْنِيَاءِ مَلَامِ بُغْضٍ

دَفِينٍ، ظَاهِرٍ مِنْهُ عَدَاكَ

وَنَفْسٍ إِنْ غَدَوْتَ أَخَا شَرٍّ

مَلَأَتْ الْأَرْضَ رِيًّا مِنْ نَدَاكَ

وَمَنْ يَدْرِى؟ فَتَدُ تَمْسِي غَنِيَا

وَلَا تَسْخُو، وَلَوْ بَتَرْتُ يَدَاكَ

فَبِذَلِ الْمَالِ أَسْهَلَ مَا تَرَاهُ

وَلَكِنْ حِينَ يَبْذُلُ لِمَا سِوَاكَ

أنفث من النجد يد حين وجدتهُ

كلاماً علياً لثافها دون مضمونِ

وقلت: إذا أعيى الذكي غموضه

فكيف جلا أسرارهِ كلُّ مأفونِ؟

وهبهُ لمن يأتِي، فلم يسترونها

بألف رداءٍ ضائع اللون مدهونِ؟

إذا حسب التجديدُ معنى مشوها

فأعظم تجديدٍ هراءُ المجانينِ

لأنخدع بمعونته من وده

هذا الوداد عميمة أضراره

أو ما كفى ما وفد حملت من الشقا

حتى نقلص عن رباك شعاره؟

يا مستدينا من عدوك بدرة

في ظلها يتمرن استعمارُه

للأجنبيّ وسيلنان؟ سلاحه

فإذ أنبا، يوم الوغى، فتضاره



فَبَجَّ النَّفْوُ: مَا فِي بَابِ حَرَسَ

لَكِنَّهُ دَرَبُ أَرْزَاءِ وَأَخْطَارِ

فَالنَّاسُ يُؤْلِمُهُمْ مَرَأَى النَّبُوغِ، وَلَوْ

نُقِدَ مَوَانِحُوهُ بِالْمَدْحِ وَالْفَارِ

كَمْ مِنْ أَدِيبٍ قَضَى وَالْجَمْعُ يَأْكُلُهُ

وَمَجْرَمٍ حَوْلَهُ نَهْرُ الْغَنَى جَارِ

الْعَبْقَرِيَّةُ حَرَمَانٍ وَتَضْحِيَّةُ

وَلَيْسَ بِمُخْلَدٍ إِلَّا كُلُّ جَبَارِ

تروج الرذائل بين الوري

لضعف يشل القوى العاقله

فلوصح في المرء تفكيره

لناء عن الخطط الباطله

وربّ خلي يريد الزواج

ويخشى تكاليفه الشامله

ولوصان ما يهب العاثرات

لرؤي بها أسره فاضله

دعمناهم فخانونا جهارا
بإخفاء المآسى والذنوبِ
ولو كشفوا مكان الضعف هانت
على الأفلام نصفية الخطوبِ
فلا تسأل عن الفشل الفوائى
ولا تلتق الملام على الأديبِ
إذا كنتم المريض الداء عمدا
فأنم العار يلحون بالطبيبِ

خفت دموع الفقير يا كانز
الأموال، يا من يخيفه الإحسانُ
قد يحول الشفاءُ بأساً أثيماً
في موت الضمير والوجدانُ
كل فوضى تحمّل الناس منها
باهظ الشرأصلها جوعانُ
ليس بين الفقير والسجن إلا
خطوة أمربها الشيطانُ

تَحَاوَلْ إِرْضَائِي بِمَدْحِي مَغَالِيَا

فَاسْمَعْ صَوْتَ الذَّمِّ فِي كَاذِبِ الْمَدْحِ

إِذَا قُلْتَ إِنِّي أُرِيحِيَّ ، وَلَمْ أَكُنْ

فَقُولْكَ تَمْهِيدٌ لِلتَّسْخَرِ مِنْ شَحِي

وَلَوْ خَيْرٌ وَنِي بَيْنَ حَسَنِ مَزِيْفٍ

وَقَبِيحٍ صَحِيحٍ ، مَلْتُ فَوْرًا إِلَى الْقَبِيحِ

وَأَحْسَبُنِي فِي دَفْتَرِ الْخُفَا سَرًّا

إِذَا كَانَ نَعْدَادُ الْأَضَالِيلِ مِنْ رِيحِي

إني لأحزن للمغرورين نفخه
من التكبر ريحٌ، ملؤها وضرٌ
وليس يعجبني من كان منصفاً
بالفضل، عز فضله يغضو ويعتدُّ
أعرفُ مقامك، يعرفها سواك، ففي
إنصاف نفسك سفر العدل مختصرٌ
إن التكبر مذموم ومخنق
وفي التواضع وجه الضعف مستترٌ

يُطَاوِلُ السُّفَهَاءُ عُلَمَاءَ مِنْهُمْ

إِنَّ الْكَرِيمَ مَعَ اللَّئَامِ مُحِيرٌ

يَأْبَى النُّزُولَ إِلَى دَنَاءَتِهِمْ، وَلَا

يَرْضَوْنَ أَنْ يَرْقُوا إِلَيْهِ وَيُطَهَّرُوا

وَالْحَرِيصُ يَخْشَى أَنْ يُمَسَّ إِبَاءُوه

أَمَّا الزَّانِمُ فَأَيَّ مَجْدٍ يَخْسِرُهُ

عَارُكَ إِذَا انْكَسَرَتْ لِسَافِلٍ

وَإِذَا انْتَصَرَتْ فَإِنَّ عَارَكَ أَكْبَرُ

يَا رَاقِصِينَ عِلْمَ أَعْجَادِ أُمَّتِكُمْ
وَمَنْزِلِينَ عَلَيْهَا الْعَارَ وَالْمَحْناً
لَا تَحْسَبُوا أَنَّهَا نَسِيَ خِيَانَتَكُمْ
وَإِنْ نَسِيتُ وَأَخْفَيْتُ ثَارَهَا زَمَنًا
خُزُّ الْغَرِيبِ الَّذِي يَغْشَى مَفَاعِدَكُمْ
سَيَسْئَلُكُمْ عَلَى أَشْيَائِكُمْ كَفَنًا
كُلَّ الذُّنُوبِ لَهَا عَذْرٌ وَمَغْفَرَةٌ
إِلَّا الذُّنُوبَ الَّتِي تَسْتَعِيدُ الْوَطَنَ

عجبنا منك تُمعِن في أذاننا

ونحن ردّ عنك الحانفينا

ورثت، فلا نباه الناس، واشكرهُ

شفيعيك؛ الولادة والمنون

وكان أبوك شهماً أريحياً

فكيف نشأت كز النفس دوناً؟

فإمّا أن تصير فتى كريماً

وإمّا أن نسيء بك الظنون



جنيت على العروبة يافئها

وألبيت العلم فيها حداد

سمعت نداءها والحرب تغلى

فلم تحفل، كأنك لم تناد

وجرمك لا يخفعا عندار

يكاد يكون جرماً مستعاد

وشر من عدائك أصدفاء

إذا السُّنُصْرُ خَنَهُم سَكَنُوا حِيَاد

باهيت بالضرر الذي الحقتك

سرّاً بخصمك، فانزوى مخذولاً

فإذا انفرق عنك من جمعّهم

حقى يكونوا حصنك المأمولاً

فاعلم بأنك أنت وقد حذرتهم

فرأوك في صدق الفعّال ضئيلاً

إنّ الزعامة خدمة ومحبة

ليس الزعامة أن تكون الغولاً

سَخَرْتُ مِنَ الْوَرَى الْمَاءَ، وَأَهْوَتْ
عَلَى أَعْمَالِهِمْ غَضَبَاتٍ يَا أَسَى
وَكُنْتُ أَظُنُّ فِيهِمْ غَرِيبًا
يُجَرِّعُهُ الزَّمَانُ أَمَرَ كَأْسٍ
وَمَا زَالَ عَنِ نَفْسِي غُرُورِي
وَبَانَ وَرَاءَهُ يَوْمِي وَأَمْسِي
لَمَسْتُ سَخَافَتِي وَعَرَفْتُ أَنِّي
سَخَرْتُ مِنَ الْوَرَى ثَارًا لِنَفْسِي

دروسك كانت للعلمي وجعلتها
لعدم خرافات وثأيد باطل
فلا تدمر من هوان حملتها
فقد بان ما خبا من حبايل
وما العلم تلوين الضلال بالهدى
ولكننا أن نهتدى بالفضائل
وسيان في عرف الحفيفة عالم
إلى الشر ميال، وأجهل جاهل

لَا تَنْظُرْ مِنْ الرُّضُوحِ فَإِنِّي
مَتَمَسِّكٌ بِكَرَامَتِي وَإِبَائِي
مَا لِلزَّعَامَةِ غَيْرُ نَفْدِي إِنْ هُوَتْ
فِي بَحْثِنَا لِأَغْرَاضٍ وَالْأَهْوَاءِ
إِنَّ النِّظَامَ مَقْدَّسٌ، أَمَا الَّذِي
قَدَّسْتَهُ، فَكَسَائِرُ الْأَحْيَاءِ
عَزَّ الْمَجَاهِدُ حِينَ يَعْبُدُ مَبْدَأُ
إِنَّ الْهُوَ أَنْ عِبَادَةَ الْأَسْمَاءِ

لا تنصحنوني فنهجي غير نهجكم

إلى الزكاة، وإني غير مغبون

أواجهي كلما حاولتُ مكرمت

أن لا أقدمها إلا لبناون؟

ومن يصبر محتاجاً لأطلب عن

شفاء حاله كل البراهين؟

من مدّ راحته فهو الفقير ولو

حوتُ صناديقه أموال قارون

أتردّ عن مستقبل أخطاره

بالطعن في ماضيّ دون حياءٍ؟

دعواكَ عذر الغادرين بمجدهم

وهذاك سمّ الحيّة الرقطاء

إني انصال ببن أُمسٍ نير

وغدٍ تطلّ عليه شمسٌ رجائي

فإذا ظلمتَ أبي أشرّك كوامني

حنفاً، كأنك ظالم أبنائي

سَعَيْتُ، كما يسعى الشريف إلى الغنى
ولبّيتُ صوت الحفّ والفن والشعرِ
ولم جسد يلنّذ بالدين والهنا
ويؤلم ما في المصاعب من عسرِ
ولا أشنّهُ أُمُوال "فورد" وإنما
أريد معاشاً لا يقدّ من الصخرِ
غنيتُ عن الآداب والنخلد والعلی
إذا كنتَ تُبغى أن أُموت من الفقرِ

وقفتَ تمتدح الباغي وتنصره

محللاً مع ما حرم الله

فخاب ظنك في استغلال صولته

وضاع جهلك في استثمار جدواه

وليس ربحك إلا من خسارته

فكيف يقبلها أو كيف يرضاه؟

يا مسعف الظلم لا تفرح بصحبته

فأنت أنت غداً أولى ضحاياه

يا من بجاد لى بقبضة كفها
أنا قوتى فى خاطرى وجنانى
لو كان رأيت بالرشاد مرصعاً
لكفالك ما فيده من البرهانِ
وإذا اتخذت من الهراوة حجة
ساوينا بين الوحش والإنسانِ
من رام فرض جداله بنطاحه
فمجاله فى ملعب الشيرانِ

حدّد مقامك إن أردت سلامنا

ماذا يفيدك أن نعيش مداهنا

هذا التضضّع منك عبء فاح

يهوى عليك مغامرًا ومطاعنا

لا يفضحُ الجاني سوى حرّكاته

إن الظواهر قد تكون بواطننا

لو لم تكن في ذات نفسك خائنا

ما كنت نرضو أن نصادق خائنا

يا حاملين إلى الأجانب عطفكم
وبلادكم في قبضتنا المحدثانِ
إسعافكم ما فيه إنسانية
بل فيه معنى الذل والروغانِ
هلا بد أنتم بالقريب فإنه
أولى من الغريب بالإحسانِ
من ليس يسعف أهلنا بنزاهته
هيهات يسعف سائر البلدانِ

لَا تَنْهَيْنَا بِالذِّبِّ نَصَاغِرُوا

لَمَّا تَحَرَّاهُمْ قَضَاءُ مَنْصَفٍ

لَمْ يَظْلَمُوا، لَكِنْ لَعَانُوا ظَالِمًا

كَانَتْ مَخَازِيرُهُ تَسِيءُ وَتَنْتَلِفُ

قَدْ شَجَعُوهُ عَلَى الْهَيْلَالِ بِمَدْحِهِ

وَنَبِيَتْرُوا أَبْنَوَالَهُ وَنَتَرَفُوا

لِلْحَاكِمِ الطَّاعِمِ بِرِيكِ مَثَلِهِ

غِيًّا إِجْرَامًا: هُوَ الْمُنْتَزِفُ

يلومون بخلق زوراً وأنت
المجديراً بفضل ما في الشنا
نصون بروحك ما قد جمعت
وغيرك يبذلها بالهنا
وفيك عزاء لكل فقيرٍ
نعذبهم حملات العنا
لنحرم الفقر بعض المنى
فقد حرم البخل كل المنى

أردتَ لهم من العمر ان حظا
يخفف عنهم الجهد النعيسا
فلا نصبرُ على من شذَّ مكرًا
وأعمل في مخابئة الفؤوسا
ولا نصرفك عن هدف المعالي
قشور ضمت الهدف الخسيسا
جميل أن تحضرهم ثيابا
وأجمل أن نهذبهم نفوسا

أَتَسْمَعُ أَغْلَى الْمَدْحِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ

وَتَحْسِبُهُ شَكْلًا صَرِيحًا مِنَ الْغَيْبِ؟

وَمَا قَمْتُ إِلَّا بِالذِّى هُوَ وَاجِبٌ

عَلَى كُلِّ ذِي نَفْسٍ تَرَوْنِي مِنَ الْفَنِّ

فَإِذَا مَا أَنْصَرَفْتُ عَنْ سَاحِلِ الْمَجْدِ خَامِلًا

وَإِذَا مَا اعْتَمَدْتُ دَرَبَ الْجِهَادِ بِلَا مَنٍّ

فَمَا الْفَضْلُ أَنْ تَجْنِي ثَمَارَ اسْفِينِهَا

بَلِ الْفَضْلُ أَنْ تَسْفِي لِمَنْ رَامَ أَنْ يَجْنِي

لَا تَسْنَهُنَّ بِثَرَاءٍ فِي النُّفُوسِ لَهُ
مِنْ أَحْرَفِ الْحُبِّ وَالْإِيثَارِ عُنْوَانُ
فَأَنْعَمُ اللَّهُ لَا تَحْصِي مَظَاهِرُهَا
لَكِنَّ أَجْمَلَهَا قُلُوبٌ وَوُجْدَانُ
وَلِلنَّسَاحِ سِحْرٌ غَيْرُ مُحْتَرَسِ
هِيَ هَاتِ يَعْدِلُ لَهَا جَاهُ وَسُلْطَانُ
وَكُلُّ خُطْبٍ يَظَلُّ الْحَزْنَ مُورِدَهُ
حَتَّى يَلْطَفَ عَطْفٌ وَتَحْنَانُ

ما زال تحت ظلام الجهل منهجنا
حق تساوى لدينا الماس والصدفُ
كم ما كبر بيننا يلفح حفاوئنا
وكم سفيه بآى المرح يُكثفُ
إنا نكبتنا بحلمٍ كلهم وهن
يأليتنا لم نكن بالحلم ننصفُ
ما قابل المرء بالنجيل من سفلوا
إلا وفد ضاع فيه الحق والشرفُ

يا من: تحمّلنا من خطبنا مننا
جعلته في كتاب الهزل عنوانا
ما أنت وحدك في الدنيا برئها
من سامه الدهر إذ لا وعدوانا
إذ كان حزنك نارا لا فرار لها
فاحزن أصدفها ملاح كتمان
أو كان حزنك ثوبا في برقشة
فاعرضه في السوق وانشر عننا علانا

نبت حياة المجامدين نعتلا

ليس النعتل شرعة الأبطال

لولا جنون الطامحين وسعيهم

ما كان ذكر المجد غير خيال

خير من اليأس الذي يوحى الحجبى

أمنية فيها رسيس خيال

ما الشرّ آملًا لئن أوى حُدّها

الشرّ أن تحيا بلا آمال

تَخَذْتُ مِنَ الْحَسَادِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ

مَوَازِينَ فِي أَحْكَامِهَا مِنْهُي الرِّشْدِ

إِذَا غَضِبُوا أَدْرَكْتُ أَنِّي مُوَفَّقٌ

فَتَابِعْتُ سَيْرِي مَطْمَئِنًّا إِلَى قَصْدِي

وَإِنْ سَكَنُوا أَمَعْتُ فِيمَا أَثْبَتُ

وَأَجْرِيكَ فِي إِصْلَاحِ غَايِنَا الْجَهْدِ

فِيَارِبِّ لَا تَعْذِلْ شُرُودِي عَنْ الْهَدْيِ

إِذَا زَالَ مِنْ أَكْبَادِهِمْ حِمَاُ الْحَقْدِ

لا تجازف بمركزه يأنث
سنوات من الكفاح المجيد
كم طموح يفيض من اضطراب
واضطراب يعيد شد القيود
واحذر المعجبين بالغرب
فالغرب نواء مصفح بالحديد
منتهى الذل أن تحطم نيرا
ثم تسعى لحمل نير جديد

يامن يكابد في فتراة نفسه
جزعاً من الأيام غير محدد
مادمت نبتدع المصاب توهمها
أتراك تجزع عن دواء مسعد
النائبات عديدة وأشدّها
ما كان من صنع الخيال الأسود
ليس النعاسة أن نعيش بفافية
إن النعاسة أن نخاف من الغد

ذهب النواكل طاوياً عهد الشفا

وأنى زمان أنجد والأعمال

هذى بلادك فى طليعة يَفْطَةِ

محروسة بحماة الأشبالي

إن لم يكن للحوفيك بطولت

فانرك عرين الحوف للأبطال

خسى الذى يسعى لمخدمته قوم

وعناده وطنيته الأقوال

مضى الزمن الذي قد عشتَ فيه
ويحسن أن نعدّ له ضريحاً
فحسبك المغيظة ما يبا إلى
بها أحدٌ، فلا نُطِل الشروحا
ونحن الآن في عصر جديدٍ
يحدّ دخطونا جسداً وروحاً
فإمّا أن تسبّر على هُلاه
وإمّا أن تموتَ وتُستريحاً

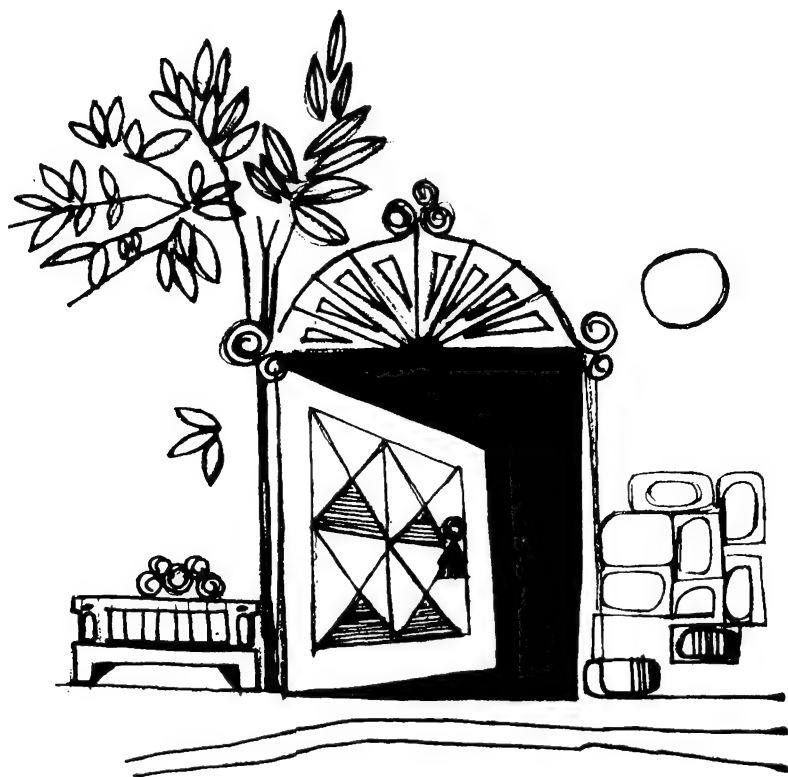
أتحفته نفحاتِ شعرك مخلصاً
فأشاح عنك بلبس من المنعمي
وأناه غيرك راقصاً وملاكها
فأحاط به بمظاهر الإكرام
هذا الزمان، كما نرى، في سوقه
ليست تخرج طرائف الأفلام
بعض العقول لها الرؤوس مخائب
وعقول بعض الناس في الأفلام

زمرعت في نفسها ياساً بلا سبب
وأنت ترمى إلى نهذيب مظهره
فعاشر تحت ظلام الشك مضطرباً
ينأى به خوفه عن عين مبصره
هيهات ينفعه علم يُلقن
مادام يفقد آلاء جواهره
بئس الطبيب الذي يشفي بمضعه
صدمي، ويهوى على ظهري بنخجره

فاجأثنى بعراء نصفه حسد
ونصفه من ظلام الإفك والنهم
فكان صمتي جوابا غير مضطرب
وكان كيدك شرًا غير مُنصرم
فلا تعامل كما عاملتني أحدا
فقد ينالك منه غيظ مننقم
ما خف ذنبك من تكرار فعلته
بل خف ذنبك من صفحي ومن كرمي

حنامٌ تُبهظنا بعرض عيوبنا
وعيوبنا مكشوفة للرائي
لا تسع يد بلا ذنأً مجادها
إلا بجهد مكافح بتاء
يا من يقيم على الهراء نضالها
ويزينها بطرائف الآراء
إن الشهامة أن تعدّ لم يدوا
ليس الشهامة أن تصور دأى

الفرو بينك في الشعور وبينهم
كالفرق بين الروح والأصنام
هم للحطام يرون تحت هبائه
هدف الوجود، وأنت للإلهام
فانرك لهم ثرف الحياة ولينها
وليتركوا براحة وسلام
عبثاً نفابل بالخيال جماعته
إحساسها شكل من الألف ونام



ما الدار إلا ذويها حين تذكرها
فاترك زخارفها للعامل الباني
كسرى، إذا رابني، إيوانه طلل
ونخمة المحرّسوى ألف إيوان
وأى معنى لبدي أنت رافعها
وصرح قومك مهدوم بلاشان؟
خير من الفصرفية المجد من صدع
كوخ يشد بإحساس ووجدان

جعلت من الوظيفة نجوَّ صيدٍ
يجول المكرفيه والضلالُ
وما كانت سوى جهدٍ كريم
يرافقه عزَّ الرُّجِّ المحلالُ
فلا نخذلك ما أحرزت منها
فما أحرزت يرقب الزوالُ
وفد نعلم الوظائف حاملها
كما تعلم المشايقة المحبالُ

نذمر من صرف الزمان تحديراً
إلى ما لا يفي من عوارض نحسها
وكيف يصيب الرغد والسعد حاسداً
ثتيراً به البغضاء في ففر يأساً
يريد من الناس السخاء نبرعاً
بأموالهم، وهو الضنين بفلسها
أخفّ العمى أن لا يرى المرء غيره
وأصعبها أن لا يرى غير نفسه

سَلَّمَتْ أَصْحَابَ السَّخَافَةِ مَبْدَأُ

هُوَ عِزَّةٌ وَحِصَارَةٌ وَهِنَاءُ

فَإِذَا بَدَأَ يَنْهَارُ تَحْتَ دَعَايَةٍ

عَمِيَاءُ، فِيهَا غَيْرَةٌ هُوَ جَاءُ

طَيِّبُ الطَّوْبَةِ لَا يَكُونُ رِسَالَةً

بُرْهَانُهَا مَا تَصْنَعُ الْغَوْغَاءُ

وَالْحَقُّ لَيْسَ خُصُومًا أَعْدَاؤُهُ

لَكِنَّهُمْ أَنْصَارُهُ الْجَهْلَاءُ

مللنا من وعود ليس فيها
وإن صدقت، سوى الأمل الكسيفِ
تمنينا بدنيا من فتوح
فانعشنا بأثمان السيوفِ
فأقصى ما نحنُ إليه عهدٌ
يحررنا من الفخر المخيفِ
وما معنى الكرامة والمعالي
إذا عشنا عبيداً للرغيفِ؟

لا يخلف الإطراء عفتَ راهبٍ

إن لم تكن في النفس عفتَ راهبٍ

ماذا يفيدك أن يعدّك خادع

علم البيان، وأنت أسخفُ كاتبٍ؟

إنى أراك تجد غير موفٍ

لنغش ذاك غشّ طفلٍ لاعبٍ

سيفيب وعيك تحت ذم صادقٍ

مادمثٌ ثمل بالمديح الكاذبِ

أيها الناس لو عرفتم فؤادي
لشكرتم إحياءه والوفاء
أنا لولا محبتى ما جعلتُ
النصح دأبى، ولا حملتُ العناء
فرقوا بين غصبة تحمل النفع
وأخرى تحرّك البغضاء
وفتحٌ من يجارب الناس، لكن
مصلحٌ من يجارب الأخطاء



قامت نطالب بالإصلاح وادعت
ونصر الوطن المنكوب والديننا
فشرت حتى حسبنا الأفق منفلاً
والأرض نبت زقوماً وغسلنا
يانا شر النصر أقوالاً منخرقة
إنّا نريد على القول البراهين
هذا الصراخ الذي أرسلته غضباً
لو كان في الحرب لم نخسر فلسطينا

حَمَلْتَ قَلْبِكَ مَا فِي الْحَقِّ مِنْ نَصَبٍ
فَبَاتَ عَقْلُكَ بِالظُّلْمَاءِ مُشْتَمِلًا
وَعَشْتَ وَحْدَكَ فِي دُنْيَا مُهْدَمَةٍ
تَكَابِدُ الْفَمَ وَالْحَرَمَانَ وَالْفُشْلَا
الزَّيْبُ ذَنْبُكَ؛ فَانْظُرْ فَالْحَيَاةُ لَهَا
وَجْهٌ أُنَيْسٌ وَوَجْهٌ يَبْعَثُ الْوَجْلَا
وَالْمَرْءُ أَنْتَ. تَرَاهُ حِينَ تُبْغِضُ
ذَنْبًا، وَيَصْبِحُ إِنْ أَحْبَبْتَهُ حَمَلًا



أشقى لبؤس البائسين كأننى
أنا من تسبب فى شقاء الناس
مارنَّ فى سمعى أن يُملوع
إلّا جرعت دموعى فى كاسى
هدمتُ حدود الأرض إنسانيتى
وسمتُ على الألوان والأجناس
فإلى متى يارب أحتمل الأسى ؟
شرُّ المواهب رتنة الإحساس

عزوت إلى الوري شرّ النوايا
تؤكد لها فعالهم الذميمة
ولم تعثر على سمح وفي
تحلى بالسجايا المستقيمة
وما بالغت عز حذر، ولكن
للتشفى بعض غلك بالشتيمة
تخال الناس كلهم لئاماً
لأنك أنت ذو نفسٍ لئيمة

تشكو العراقيل التي لا بد من

نذليلها حتى تَحُوزَ المطلب

وتغضَّ طرفك مهلاً ما نلتَ من

خير عَمِيمٍ دون أن تُعَذِّبَ

ولعلَّ في تلك المصاعبِ شارة

للعمر تجعله بهيجاً طيباً

شر من النعب الذي يوهي القوى

سأمٌ يحيل سناءً صبحك غيها

قالوا بلغنا من العمر ان منزلتَّ
ما كان يبلغها وهمُّ وتحمينُ
فقلت هذى قشور غير مثرة
وكلَّ قيمتها نفث وتلويثُ
إن التبجح بالآلات مهزلة
مادام في الناس مظلوم ومغبونُ
حضارة المرء مشكوك بصحتها
حتى تزول من الدنيا القوانينُ

إني أفتابِلُ بالرشاءِ مقطَّباً
ومناهلُ النعماءِ ملءُ حياتهِ
الروضِ يديسُمُ بالأزهارِ حولهِ
ويُداهِ باحثُنا عن حشرائهِ
كم فاشِلٌ في الناسِ كان عبوسهُ
سبباً إلى خذلانهِ وأذائهِ
كل امرئٍ جعل النجهم عادةً
فيه خفيُّ نفثٍ زَمِنَ ذائهِ